بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك سعود

كلية التربية / قسم الثقافة الإسلامية

مسار الحديث و التفسير

سورة الرعد دراسة تحليلية (١- ٦)

مقدم للدكتورة : وفاء الزعاقي

جمع وإعداد : جمانة حسن الترتوري

بين يدي السورة :

الحمد لله و حده و الصلاة و السلام على سيدنا محمد ، ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ..

فسورة الرعد من السور التي اختلف فيها هل هي مكية أم مدنية ؟

١) فقيل : مكية إلا قوله تعالى : (و لا يزال الذين كفروا ... الآية) ، وقوله (و يقول الذين كفروا لست مرسلاً .. الآية) .

٢) و قيل : مدنية إلا قوله تعالى : (و لو أن قرآنا سيرت به الجبال ..... الآية) .

و الراجح : أنها مكية لاشتمالها على خصائص السور المكية، وهذا لا يمنع وجود آيات مدنية فيها.

و عدد آياتها ٤٣ آية ، وهي من أروع سور القرآن، ورسالتها تقول: الحق قوي راسخ، و إن لم يظهر أمام الأعين ، و الباطل مهزوم ضعيف، فهو – و إن كان ظاهراً متفشياً – لكنه هش لا قيمة له
هذه الحقيقة البسيطة يغفل عنها الكثير من الناس، فينخدعون ببريق الباطل الزائف !
و سُميت " سورة الرعد "لتلك الظاهرة الكونية العجيبة التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه فالماء جعله الله سبب الحياة و أنزله بقدرته من السحاب والسحاب جمع الله فيه بين الرحمة والعذاب فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق وفي الماء الإحياء وفي الصواعق الإفناء وجمع النقيضين من العجائب كما قال القائل جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به ماء و به نار فما أَجَلّ وأعظم قدرة الله .

و سأقوم بجمع التفاسير المقررة في مادة التفسير التحليلي لسورة الرعد من (١-٦) و التي قامت الطالبات بدراستها دراسة تحليلية .

و الله الموفق ..

سورة الرعد دراسة تحليلية (١- ٦)

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)

(الر) : للعلماء في فواتح السور مذهبان :

١) أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، و عليه يجب الإيمان بها كما جاءت ، و التوقف عن التكلم فيها ، (و هذا قول منسوب لعدد من الصحابة مثل : أبي بكر و عمر و عثمان و علي و ابن مسعود ، و هو رأي جماعة من المحدثين كالشعبي و الثوري و أبي حاتم و غيرهم).

٢) أنه يجب أن يتكلم فيها ، و أن تلتمس الفوائد التي تحتها ، و المعاني التي تتخرج عليها ، ثم اختلفوا في تحديد المراد منها .

و قد ذهب الإمام الطبري إلى أن الحروف المقطعة في أوائل السور تأويلين : **عام و خاص** .

العام / وهو ما ذكره من تأويل الحروف المقطعة بشكل عام بأول موضع لها في المصحف العثماني فيما افتتحت به سورة البقرة .

الخاص / وهو تأويل الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور بما ورد فيها من آثار بشكل خاص . كما جاء منه في سورة الرعد .

فأما تأويله العام للحروف المقطعة قال فيه : اختلفت تراجمة القرآن في تأويلها على قسمين :

القسم الأول / ما ورد فيها أثر :

١- أنها من أسماء السور . قاله زيد بن أسلم
٢- اسم من أسماء الله عزوجل . قاله ابن عباس ، والشعبي
٣- قسم مما أقسم الله به . ابن عباس ، وعكرمة ، والشعبي
٤- هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة . قاله الربيع بن أنس
٥- سر من أسرار القرآن . — يعني من إعجاز القرآن الكريم —

القسم الثاني / تفسير أهل اللغة :

١- هي حروف من حروف المعجم ، استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها

٢- لفت انتباه ؛ ليفتح لاستماعه أسماع المشركين إذا تواصوا بالإعراض عن القرآن

٣- حروف يستفتح الله بها كلامه .

جمع الطبري بين كل الأقوال السابقة فقال : و الصواب من القول عندي في تأويل مفاتِح السور ، التي هي حروف المعجم : أنّ الله جلّ ثناؤه جعلَها حروفًا مقطَّعة ولم يصِل بعضَها ببعض ، فيجعلها كسائر الكلام متّصِل الحروف ؛ لأنه عز ذكره أراد بلفظِه الدلالةَ بكل حرف منه على معان كثيرة ، لا على معنى واحد ، كما قال الربيعُ بن أنس . وإن كان الربيع قد اقتصَر به على معانٍ ثلاثةٍ ، دون ما زاد عليها.

التأويل الخاص فيما افتتحت به سورة الرعد :

فقال رحمه الله : التفريق بين معنى ما جاءت بزيادة الميم" آلمر " و " آلر "

فجاء في معنى المر : أنا الله – عزوجل – أرى . في رواية عن ابن عباس .

(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ) : لهم فيها تفسيران :

١) تلك : إشارة إلى آيات السورة ، و عليه يكون المراد (بالكتاب) : السورة ، و المعنى : أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ، و يكون المراد بقوله : (و الذي أنزل إليك من ربك الحق) : من القرآن كله ، هو (الحق) الذي لا مزيد عليه .

٢) تلك : إشارة إلى حروف المعجم ، و عليه يجوز أن يكون المراد (بالكتاب) القرآن أو التوراة و الإنجيل . و هذا ما ذهب إليه الطبري .

فإذا أريد (بالكتاب) القرآن : فيكون المراد بـ (الذي أنزل إليك) : جميع الشريعة ، ما تضمنه القرآن منها و مالم يتضمنه ، و إذا أريد بـ (الكتاب) التوراة و الإنجيل ؛ فيكون المراد بـ (الذي أنزل إليك) : القرآن الكريم .

و عليه يكون إعراب الآية كالتالي :

(**المر**) مبتدأ . (**تلك آيات الكتاب**) : تلك : مبتدأ ، آيات : خبرها ، الكتاب : مجرور بالإضافة ، و الجملة (تلك آيات الكتاب) جميعها خبر للمبتدأ (المر) .

(و الذي أنزل إليك من ربك الحق) : فيها إعرابان بحسب نوع الواو :

١) استئنافية ، تكون (الذي) في محل رفع مبتدأ ، (الحق) خبرها .

٢) عاطفة ، و تكون الذي في محل رفع عطفاً على (آيات) ، أو في محل خفض عطفاً على (الكتاب) ، و عليه يكون (الحق) خبر لمبتدأ مضمر تقديره : (هو الحق) .

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) :

قيل هم كفار مكة، وقيل: اليهود والنصارى. **والأولى** أن يراد أكثرهم مطلقًا .

و المعنى : لا يُؤْمِنُونَ بذلك الحق المبين لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم إيمانهم، كما قال شيخ الإسلام متعلق بعنوان حقيقته لأنه المرجع للتصديق و التكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولأنه وارد على سبيل الوصف دون الإخبار.

لما بين الله تعالى أن القرآن حق ، بيّن أن من أنزله قادر على الكمال ، فانظروا إلى مصنوعاته لتعرفوا كمال قدرته .

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

يخبر الله تعالى عن كمال قدرته و عظيم سلطانه ، أن بإذنه و أمره رفع السموات بغير عمد ، بل بإذنه و أمره و تسخيره رفعها عن الأرض ،بعداً لا تنال و لا يدرك مداها ، ففي الحديث : (ما السموات السبع و ما فيهن و ما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، و الكرسي في العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة)

(**الله**) : مبتدأ .

(**الذي**) : قيل : خبر المبتدأ ، و قيل : صفة ، و يكون الخبر :(يدبر الأمر يفصل الآيات) .

الله عز وجل هو الذي رفع السموات السبع بغير عَمَد ترونها ، فجعلها للأرض سقْفًا مسموكًا .

(**عمد**) : عمود ، وهي السَّواري ، وما يعمد به البناء . ولو جمع بالضم فقيل : " عُمُد " جاز .

و العمود جسم مستطيل يمنع المرتفع أن يميل .

(**ترونها**) : إمَّا استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات، أو صفة لـ (عمد) جيء بها إبهاماً؛ لأن لها عمداً غير مرئية، وإليه ذهب كثير من السلف، ورجّح ابن كثير الأول وأنها لا عمد لها، قال: وهذا هو اللائق بالسياق

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله:(**رفع السموات بغير عمد ترونها**) على قولين :

١- أي مرفوعة بعَمَدٍ لا ترونها . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والحسن .

٢- مرفوعة بغير عمد ، السماء مقببة على الأرض مثل القبة . قاله إياس بن معاوية . وذهب إلى هذا قتادة في رواية عنه .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : أن يقال كما قال الله تعالى : (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) فهي مرفوعة بغير عمد نَراها ، كما قال ربنا جل ثناؤه . ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه .

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) : : ورد تفسرها ثلاثة على أقوال :

١) وقال بعضهم : " ثم استوى إلى السماء " ، عمدَ لها . وقال : بل كلٌّ تارك عملا كان فيه إلى آخر ، فهو مستو لما عمد له ، ومستوٍ إليه .

٢) وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلوّ هو الارتفاع.

ثم اختلف متأوّلو الاستواء بمعنى " العلوّ والارتفاع " ، في الذي " استوى إلى السّماء " :

أ. فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقُها ومنشئها .

ب. وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخَانُ الذي جعله الله للأرض سماء .

وبين الطبري أن أولى المعاني بقول الله جل ثناؤه :" ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن" علا عليهن وارتفع ، فدبرهنّ بقدرته ، وخلقهنّ سبع سموات .

يقول ابن عطية : ثم هنا للعطف لا للترتيب ، لأن الاستواء على العرش قبل رفع السموات ، و في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : (كان الله و لم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات و الأرض) .

(وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) : وأجرى الشمس والقمر في السماء ، فسخرهما فيها لمصالح خلقه ، وذلَّلهما لمنافعهم ، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ، ويفصلوا به بين الليل والنهار .

(كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى) : قال مجاهد : لأجل مسمى : الدنيا .

كل ذلك يجري في السماء ، لأجل مسمى : أي : لوقت معلوم ، وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكوَّر الشمس ، ويُخْسف القمر ، و تنكدر النجوم .

وحذف ذلك من الكلام ، لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه ، وأن(كلّ) لا بدَّ لها من إضافة إلى ما تحيط به .

(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) : يقضي و يقدر أمر الخلق و ملكوته حسبما تقتضيه الحكمة و المصلحة ، و يوضح الآيات و الدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو ، و أنه يعيد الخلق إذا شاء كما ابتدأه ، و على كمال قدرته و بالغ حكمته .

(لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) : لعلكم توقنون وتصدقون بأن هذا المدبر والمفصل، لا بد لكم من المصير إليه، بالبعث بعد الموت للجزاء .

يقول الشربيني : اليقين صفة من صفات العلم و هي فوق المعرفة و الدراية ، و هي سكون الفهم و ثبات الحكم و زوال الشك .

و لما ذكر الدلائل السماوية ، أتبعها بذكر الدلائل الأرضية .

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)

(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ) : بسطها طولا وعرضًا، و جعلها ممتدة ؛ لإخراج النعم الكثيرة منها .

و هذا المد الظاهر للبصر لا ينافي كرويتها في نفسها لتباعد أطرافها .

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا) : (رواسي) جبالاً ثوابت ، يقال : رسا الشيء يرسو رسوّاً ، فهو راسٍ: إذا ثبت .

(و أنهاراً) مياهاً جارية في الأرض ، قال البيضاوي : و ابتدأ بالأنهار لأنها سبب تولد الثمار .

و في نظمها مع الجبال في مفعولية فعل واحد إشارة إلى أن الجبال منشأ للأنهار ، و بيان لفائدة أخرى للجبال غير كونها حافظة للأرض عن الاضطراب ، متفرعة على تمكنه و تقلبه ، وهي تعيشه بالماء و الكلأ .

(وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) : اختلف في تفسير زوجين اثنين على قولين :

١) صنفين اثنين و الاختلاف يكون إما طبيعة أو طعماً أو لوناً : كالحلو و الحامض ، و الصغير و الكبير ، و الأسود و الأبيض . **و هو الصواب** : و لا يضر إن وجد أكثر من نوعين في معنى الآية .

٢) الذكر و الأنثى .

(يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) : قرأ حمزة والكسائي و أبو بكر " يغشي " بالتشديد ، و البقية بالتخفيف .

(يغشي) : يلبس الليل النهار ، فيصير أسوداً مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً، فبطول الليل يحصل الشتاء، وبطول النهار يحصل الصيف، وبأحد الاعتدالين يحصل الخريف، وبالآخر الربيع .

و فيها : استعارة تبعية تمثيلية ، مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة ، بتغطية الأشياء الظاهرة بالأغطية ، أي : يستر النهار بالليل .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) : لما ذكر الله تعالى هذه الدلائل النيرة ، و القواطع الظاهرة جمعها و ناطها بالفكر ، فإن فيها دلالات لقوم يتفكرون؛ أي يجتهدون في الفكر فيستدلون بالصنعة على الصانع و بالسبب على المسبب .

وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

(وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ) : جملة مستأنفة .

القطع جمع قطعة ، و في الكلام حذف و المعنى : قطع متجاورات و غير متجاورات . و حذفت لعلم السامع .

(متجاورات) : متلاصقات قريب بعضها من بعض .

و قيل في المراد بالقطع المتجاورات :

١) متجاورة في المكان ، مختلفة في الصفة ، صلبة إلى رخوة ، و كريمة إلى زهيدة ، و صالحة للزرع لا للشجر ، و يدخل فيها اختلاف ألوان الأرض فهذه تربة حمراء و هذه سوداء ، و هذه سميكة و هذه رقيقة ، مع انتظامها جميعاً في جنس الأرضية .

٢) ترابها واحد و ماؤها واحد ، و فيها زروع و جنات ، ثم تتفاوت في الثمار ، فيكون البعض حلواً و البعض حامضاً ، و الغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر و الكبر و اللون و المطعم.

و رجح الطبري القول الأول : قال الطبري : متدانيات ، يقرب بعضها من بعض بالجوار ، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض ، فمنها قِطْعة سَبَخَةٌ لا تنبت شيئًا في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع .

(وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) : في (جنات) قراءتان :

١) بالرفع عطفاً على (قطع) ، و هي قراءة الجمهور .

٢) بالنصب بإضمار فعل و التقدير : (و جعل فيها جنات) ، و قيل بالعطف على (رواسي) ، و قيل : بالعطف على (زوجين) و هي قراءة شاذة للحسن .

(و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان) فيها قراءتان :

١) الرفع في الكل عطفاً على (قطع) . لابن كثير و أبو عمرو و حفص عن عاصم، بمعنى : وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وفيها أيضا زرع ونخيل .

٢) الخفض في الكل عطفاً على (أعناب) ، لبقية القراء ، بمعنى : وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل .

و القراءتان متقاربتان في المعنى ؛ وذلك أن"الزرع والنخيل"إذا كانا في البساتين فهما في الأرض، وإذا كانا في الأرض فالأرض التي هما فيها جنة، فسواءٌ وُصِفَا بأنهما في بستانٍ أو في أرضٍ .

(صنوان) : جمع صنو ، و هي النخلات يجمعها أصل واحد ، و تتشعب فروعها .

(غير صنوان) : أي متفرقات مختلفة الأصول .

و قرئت بكسر الصاد و ضمها ، و قراءة الجمهور بالكسر .

(يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ) : يسقى ذلك كله بماء واحد، و الماء ماء المطر . و فيها قراءتان :

١) بالياء على التذكير : (يسقى) لابن عامر و عاصم . و قدر رجحها الطبري .

٢) بالتاء على التأنيث : (تسقى) لبقية القراء .

(وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) : (نفضل) فيها قراءتان :

١) بالياء (يُفضّل) لحمزة و الكسائي ،

٢) بالنون (نُفضّل) لبقية القراء ، بمعنى: ونفضّل نحن بعضها على بعض في الأكل .

و قدر رجح الطبري القراءة الأولى فقال : وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . غير أن "الياء" أعجبهما إليّ في القراءة ؛ لأنه في سياق كلام ابتداؤه(الله الذي رفع السموات) ، فقراءته بالياء ، إذ كان كذلك أولى .

و (**الأكل**) : اسم لما يؤكل و المراد به هنا : الثمر ، فبعضه حلو و بعضه حامض ، و بعضه أحمر و بعضه أصفر ، يقول مجاهد : و هذا مثل لبني آدم ، أصلهم من أب واحد ، ومنهم صالح و منهم خبيث .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) : إن في مخالفة الله عز وجل بين هذا القطع من الأرض المتجاورات وثمارها على ما وصفنا وبينَّا لدليلا واضحًا وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك ، أن الذي خالف بينهم على هذا النحو الدقيق المعجز ، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان ، ولو شاء لسوَّى بين جميعهم ، كما لو شاء سوَّى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تسقى سقيًا واحدًا وهي متفاضلة في الأكل .

وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)

(وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) : الآية فيها توبيخ للكفار ، والمخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم.

(فعجب) : ١) خبر قدم على المبتدأ ، أي: إن تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه .

٢) أو مبتدأ لكونه موصوفاً بالوصف المقدر ، و المعنى : و إن تعجب فالعجب لا عجب وراءه قولهم هذا ، فاعجب منه !

و يحتمل في تفسيرها معنيان :١) و إن تعجب يا محمد من جهالتهم و إعراضهم عن الحق و إنكارهم للبعث ، و عبادتهم ما لا يملك لهم نفعاً و لا ضرّاً بعدما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد فهذا عجب .

٢) و إن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعدما كنت عندهم الصادق الأمين ، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث و النشور بقولهم : (أئذا كنا ترابا ....) .

(أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) : الاستفهام إنكاري ،أي :أنعود بعد كوننا تراباً خلقاً جديداً!

و الجملة يحتمل أن تكون : ١) في محل الرفع بدلاً من (قولهم) .

٢) في محل نصب بالقول ، (**فالعجب الأول** : **كلامهم** ، **و على الثاني** : **تكلمهم بذلك**) .

أوجه قراءة الهمزتين في قوله تعالى : (**أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد**) :

١) **حفص و عاصم** : الاستفهام في الموضعين (بهمزتين) في كليهما (أئذا .. أئنا ...)

٢) **الكسائي** : يكتفي بالاستفهام بهمزتين في الموضع الأول ، و كسر الهمزة في الموضع الثاني على الخبر (أئذا ... إنا ...) .

٣) **أبو عمرو البصري** : الاستفهام في الموضعين و لكن بـ(مد الهمزة الأولى و إبدال الثانية ياء ساكنة) في كليهما (آيْذا .. آيْنا ..)، و يوافقه ابن كثير في ذلك لكن بدون الهمزة في كليهما .

٤) **نافع** : يكتفي بالاستفهام في الموضع الأول ،و يقرأها مثل أبو عمرو لكنه يمدها ، ثم يكسر الهمزة في الموضع الثاني على الخبر (آيْذا ... إنا ..) .

٥)ابن عامر : يكسر الهمزة في الموضع الأول على الخبر ، و يقرأ الموضع الثاني بهمزة ثم مد ثم همزة (إنا ... أائنا..) ؛ لأنهم لم يشكوا في الموت و إنما شكوا في البعث ، فينبغي أن يكون الاستفهام في الثاني دون الأول .

ثم لما حكى الله سبحانه ذلك عنهم حكم عليهم بأمور ثلاثة :

١) **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ** : المنكرون لقدرته جل و علا على البعث هم المتمادون في الكفر الكاملون فيه ، و فيه دليل على كفر منكري البعث .

٢) **وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ** : (أولئك) مبتدأ ، خبره (الأغلال في أعناقهم)

و (الأغلال) جمع غل ، و هو طوق من حديد يجعل في العنق أو تشد به اليد إلى العنق ، فأعمالهم السيئة لازمة لهم لزوم الأطواق للأعناق ، يسحبون بها في النار .

و معناها في الآيه يحتمل أمرين :

١) أنها على الحقيقة ، وهي من جملة الوعيد الذي أعدّ لهم يوم القيامة ، بأن تكون الأغلال في أعناقهم.

٢) أنها على المجاز ، و المراد بها و صف ما هم عليه من الإصرار على الكفر و التكذيب في الدنيا ،بأنهم مغللين عن الإيمان ، فهي تجري مجرى الطبع و الختم على القلوب ، و قيل : أعمالهم الفاسدة كالأغلال تكون في أعناقهم من شدة ملازمتهم لها ، كقوله تعالى : (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون) .

٣) **وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** : لا ينفكون عنها بحال من الأحوال ، فلا يخرجون منها و لا يموتون .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)

وهم مشركو العرب استعجلوا بالشر قبل الخير فيقولون : (**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**) [سورة الأنفال: ٣٢] . وهم يعلمون ما حَلَّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه ، فمن بين أمة مسخت قردة وأخرى خنازير ، ومن بين أمّة أهلكت بالرَّجْفة ، وأخرى بالخسف ، وذلك هو(المثلات) التي قال الله جل ثناؤه : (**وقد خلت من قبلهم المثلات**) . وسبب طلبهم بالتعجيل عنادا وطغيانا وتكذيبا للرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخوفهم به .

(**المثلات**) : جمع مَثَلة ، و هي العقوبات المنكلات التي تجعل الإنسان مثلاً يتمثّل به ، و المقصود بها عقوبات أمثالهم من المكذبين .**و قرأها الجمهور** : (بضم الميم و الثاء) .

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) : وإن ربك يا محمد لذو سترٍ على ذنوب من تاب ، فتاركٌ فضيحته بها في موقف القيامة ، وصافحٌ له عن عقابه عليها عاجلا وآجلا .

و محله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة ، والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة ، فإن التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر أو أول المغفرة بالستر والإمهال .

و خصص البيضاوي الآية هنا بظلم العبد لنفسه فيخرج منها ظلمه لغيره ؛ لأن ظلم الغير موقوف على الاستحلال . وقال : " لذا قيد بأنفسهم " ، ونبه على أن " على " بمعنى " مع " .

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) : لمن هلك مُصِرًّا على معاصيه في القيامة ، إن لم يعجِّل له ذلك في الدنيا ، أو يجمعهما له في الدنيا والآخرة .

وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهرَ خبرٍ فإنه وعيدٌ من الله وتهديدٌ للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حُلول نقمة الله بهم .

هداية الآيات

تضمنت الآيات العديد من اللطائف و الفوائد القيمة ، أذكر منها ما يلي :

١) قدرة الله عزوجل وبديع صنعه وإعجازه في خلقه إن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل تسقى بماء واحد عذب لا ملح ، ويخالف الله بين طعوم ذلك ، فيفضّل بعضها على بعض فهذا حلو وهذا حامضٌ . وهذا مدعاة للتأمل وزيادة الإيمان.

٢) إن إخراج الله تعالى للأشجار الضخمة من البذور الصغيرة، بعد أن كانت معدومة، فيه رد على المشركين في إنكارهم للبعث؛ فإن إعادة جمع أجزاء الرفات المتفرقة والمتحللة في الأرض، وبعثها من جديد، بعد أن كانت موجودة، هو بمنزلة أسهل من إخراج المعدوم من البذرة.

٣) عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية وَإِنَّ رَبَّكَ إلخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا عفو الله تعالى وتجاوزه ما هنأ أحد العيش ولولا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد»

فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد ؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين [٦ \ ١٤٧] ، وقوله: إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم [٦ \ ١٥٦ و ٧ \ ١٦٧] ، وقوله جل وعلا: نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم [١٥ \ ٤٩، ٥٠] ، وقوله: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، إلى غير ذلك من الآيات.

٤) الناس خلقوا من آدم ، فتنزل عليهم من السماء تذكرة ، فترق قلوب فتخشع و تخضع ، و تقسو قلوب ، فتلهو و تسهو وتجفو ، قال مجاهد : كمثل صالح بني آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .

قال الحسن : و الله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان ، قال تعالى : (و ننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين و لا يزيد الظالمين إلا خسارا) .

و الحمد لله رب العالمين ..